السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تابع)

ويظهر ان الانبا بيشاي أسس اديارًا شتى. قال المقريزي (٢: ٥٠٧):

« الدير الاحمر يُعرف بدير ابي بشاي وهو دير لطيف مبني بالطوب الاحمر. وابو بشاي هذا من الرهبان المعاصرين لشنوده (شنودين) وهو تلميذه وصار من تحت يده ثلاثة آلاف راهب. ولهُ دير آخر في برية شيهات »

وقال في محلّ اخر (٢: ٤٩١):

« أقيم على اليعاقبة (الاقباط) بنيامين بطركًا . . . فمسّر الدير الذي يقال له دير ابو بشاي ودير سيدة ابو بشاي وهما في وادي صبب »

على ان هذا الدير الثاني لهُ ... في برية شيهات كان في حوزة السريان على ما أيد المقريزي عينه (ص ٥٠٩) قال :

« دير بازاه دير بو بشاي . . . ملكته رهبان السريان من نحو ثلاثمائة سنة وهو بيدهم الآن »

فيتّضح ممّا ذكرنا ان السريان كان لهم دير في الصعيد على اسم الانبا بيشاي وقد ورد ذكرهُ في جملة من مخطوطات مكتبة لندن كمخطوط (عدد ٢٢٠) المنسوخ سنة ٨٢٤ ومخطوط عدد ١٤٧و٢٢٢ . وقد صرّح مخطوط لندن (عدد ٩٦١ ص ١١٣٩) المؤرّخ في سنة ١١٩٩م باسم هذا الدير واختصاصه بالسريان. وعلّق الناسخ على كتاب معانيث سويرا سنة ١٢٢٢ ما شرحه (عدد ٤٣٨): « ونُسخ الكتاب في برية الانبا مقاريس بدير والدة الله القريب من دير الانبا بيشاي » وورد ذكرهُ في مخطوط لندن (عدد ٣٧٤) المنسوخ سنة ١٢٩٢ ما تعريبه : « دير والدة الله في برية الصعيد بناحية دير الانبا بيشاي » . ولعمري لو لم يكن هذا الدير للسريان لما تصدّوا لذكره وعرّفوا بكون موقعه قريباً من ديرهم الشهير المؤسس على اسم والدة الله

وقال المؤرخ رمزي نادرس القبطي في الجزء الرابع من كتابه «الاقباط في القرن العشرين» ما ملخصه :

«ثانياً : دير انبا بيشواي . يبعد عشر دقائق عن دير ابي يحنس كاما المشهور بالسريان يحتوي على كنيسة كبيرة متسعة وعلى يمينها كنيسة الانبا اسخيرون وغربها كنيسة مار جرجس وعلى يسارها كنيسة الانبا بنيامين البطريرك الاسكندري . ويشتمل قصر هذا الدير على ثلاث طبقات بها كنيسة باسم العذراء وكنيسة باسم ميخائيل الملاك . . . واوقاف هذا الدير تقدّر ببلغ ٦٧,٤٧٠ جنيهاً . . . مشتركة بالنصف مع دير السيدة وابي يحنس كاما»

فبقوله «انه يبعد عشر دقائق عن دير ابي يحنس كاما المشهور بالسريان وان اوقافه مشتركة مع اوقاف دير السيدة» يؤكد ان هذا الدير كان للسريان كما صرّحنا اعلاه

ثالث عشر : دير الانبا يوحنا الصغير . ورد ذكره في تاريخ مخطوط لندن (عدد ١٤٧) المحتوي على رسائل مار بولس بالسريانية هكذا : «انتهى هذا الكتاب في حزيران ١٢٥٤ في دير الانبا يوحنا الصغير ابي المتوحدين في برية الصعيد بارض مصر . . . كتبه بهنام الراهب السجستاني . . . في عهد ديونوسيوس بطريرك انطاكية († ١٢٦١) ومار اثناسيوس بطريرك الاسكندرية والربان يشوع القس رئيس هذا الدير الذي يخصّ السريان»

وقد جاء ذكر هذا الدير عينه في مخطوط مكتبة اوكسفرد ايضاً (عدد ٣٢ ص ٩٥) المنسوخ سنة ١٢٤٦ م

رابع عشر : دير الاقليم . ذُكر في مخطوط لندن السرياني عدد (٨٣٢ ص ٨٦٥) بما تعريبهُ : «انتهى تأليف القديس يوحنا الناسك المعروف بالشيخ سنة ١١٧٢ م في برية مصر داخل دير الاقليم بوادي بهري

خامس عشر : دير مريم العذراء والدة الله . هو غير دير والدة الله في الصعيد الذي سيأتي وصفه على حدة . وكان موقع هذا الدير في الجزيرة باقليم الاسكندرية على ما صرّح تاريخ مخطوط لندن (عدد ٩٥٣ ص ٩١٣) وهذا تعريبهُ : «انتهى نسخ الكتاب سنة ١٠٨١ م في دير القديسة والدة الله بالجزيرة التي باقليم الاسكندرية بساعي مار موهوب ومار فهد وابنيهما يوحنا ومنصور» . وقد ورد ما يحاكي هذا التعريف في مخطوط لندن (عدد ٢٢٥) المنسوخ سنة ١٠٨٩ م

سادس عشر: دير مار يونان. وصفهُ مخطوط لندن السرياني (عدد ٧٨١ ص ٧٦٦) المشتمل على «مجموعة الرهبان المصريين» على هذا النسق «وقف هذا الكتاب اسحق ودانيال وشليمون الرهبان في دير السريان المعروف بدير مار يونان في ماريس... في عهد قزما (الثاني) بطريرك الاسكندرية ويوحنا [الخامس] بطريرك انطاكية ٨٧٤» وقد ورد ذكره على هذا المنوال ايضاً في مخطوط لندن (عدد ١٠١٤ ص ١١٩٥) بقوله: «وقف هذا الكتاب مع تسعة كتب اخرى اسحق ودانيال وشليمون المترهبون في دير السريان المعروف بدير مار يونان في ماريس مصر سنة ٨٤٩ م

سابع عشر: دير الانبا صموئيل. ويُعرف بدير القلمون وهو على مقربة من دير ابي مقار. كان من اجلّ الاديار وأوفرها عمراناً واكثرها ارزاقاً واملاكاً. ذكرهُ ناسخ النوافير السريانيَّة على ما ورد في مخطوط لندن (عدد ٧٢ ص ١١) هكذا: «بسم الله رجانا. هذا الكتاب وقف مؤبد على دير القديس انبا صموئيل المعروف بالقلمون. كتب هذه الوقفية يوحنا الراهب السرياني من ماري اوحين» وقد وصفه المقريزي (٢: ٥٠٥) بقوله

«هذا الدير بينه وبين عدة ديور يتوصل المسافر منها الى الفيوم... بُني على اسم صموئيل الراهب... في وسط ما بين عبدو ومحمد... وفيه قصران مبنيان بالحجارة وهما تاليان لبعضهما. وفيه ايضاً عين ماء تجري وفي خارجه عين اخرى وبهذا الوادي عدّة معابد قديمة ثم وادٍ يقال له الأُمَيلح فيه عين ماء تجري ونخيل شمرة تأخذ العرب ثمرها. وخارج هذا الدير ملّاحة يبيع رهبان الدير ملحها فيعمّ تلك الجهات»

ثامن عشر: دير مار جرجس. ابتناه السريان الشرقيون اعني النساطرة على اسم مار جرجس وقد ذكره الشيخ ابو صالح الارمني[1] (ص ٥٤) قال:

«دير النسطور على اسم مار جرجس وهو من العمارة المتقنة المحكمة ومن المترهبات المشهورة الموصوفة. وكان الشيخ ابو الفضائل النسطوري... اهتمّ بعمارة ما تشعّث منه وجدّده احسن عمارة بالحجر المنحوت وكان فيه عدّة كبيرة من رهبان النسطور... ولهذا الدير ارض للزراعة ملك للدير... وصار هذا الدير الى القيط بمصر في بطريركية الانبا مرقس بن زرعة وهو الثالث والسبعون في عدد البطاركة وقدّس فيه... سنة ٨٩٩ للشهداء. وسنة ٥٧٦ هجريَّة ١١٨٠ م»

---

١) لعله صموئيل او شموئيل مؤسس دير قرنين بطور عبدين في اواخر القرن الرابع على ما ذكر ابن العبري في تاريخهِ الكنسي. اطلب المشرق (٦ [١٩١٣]: ٨٢٨)

هذه ثمانية عشر ديراً ابتناها السريان في وادي النيل وثوى بهـا رهبانهم احقاباً كثيرة ولعلّ الباحث يقف على غيرها ايضاً متى أتعب خاطره وكلّف نفسه مشقّـة التفتيش عنها في الاسفار القديمة والمخطوطات العتيقة . وفي ما اوردناه مؤونة كافيـة للاقتناع بما كان للسريان من الكلمة والاهمية ورفعة الشأن في وادي النيل

١١ً دير السريان الكبير في صعيد مصر

المشهور بدير والدة الله

كان هذا الدير متحفة الاديار السريانيّـة في القطر المصري وكان غاصّاً بالرهبـان الاتقياء الاذكياء الذين أفادوا المؤمنين بسيرتهم القشفة وأغنوا ارباب العلوم بمؤلفاتهم النفيسة ومخطوطاتهم النادرة . ويغلب على الظنّ انهُ أُسس قبل السنة ٦٠٣ على مـا يُستفاد من مخطوط لندن (عد ٦٧٢) المنسوخ في هـذا الدير العام سنة ٦٠٣م وهو يتضمّن ميامر يعقوب السروجي العلّامة الشهير . ويتّضح من مخطوط مكتبة باريس (عـدد ٧٢ ص ١١) المنسوخ سنة ٧٢٠ م ان رهبـاناً سريانيّين وافوا من تكريت واشتروه — او ان شئت فقل فكّوه — من يد القبط بعد ما استوا لهم اثني عشر الف ذهب . وكان يشويه يوم عزّ مئات من الرهبان . وقد ذُكر في مخطوط لنـدن (عدد ٩٥٠ ص ١١١) المنطوي على اخبار القديسين ان سبعين راهباً سريانيًّا كانوا منقطعين فيه الى عبادة الله . وكان يزور هؤلاء الرهبان مطارنة اورشليم السريان حيناً بعد حين ويتفقّدون احوالهم . وظلّ هذا الدير الشهير على رقيّه وبسطته حتى سنة ١٥٩١ فحتم اغناطيوس بطرس الرابع بطريرك السريان ان يتمهّد شؤونه ولكن المنيّـة عاجلتـه وصرفته عن انجاز رغبته فأوفد الى رهبانهِ طائفة من المال اسعافاً لهم

والفضل في تعزيز هذا الدير عائد الى الرهبان السريان التكريتيّـين والى تجّارهم الذين كانوا يتوافـدون اليه منذ القرن السابع حاملين اليه المخطوطات السريانيـة النفيسة . وكان يقصـده ايضاً عدد كثير من الرهبان من مـا بين النهرين وقونيقي وفلسطين وسورية وغيرهـا فيتزوون فيه او في ما جاوره من الاديار معتكفين على العبادة والقنوت . ومن جملة ذلك ان اثني عشر رجلاً وافوا الى هذا الدير من سورية في نيسان سنة ١٢٠٦ كما ورد في مخطوط لندن (عدد ٢٣)

وكان هؤلاء الرهبان يتشاغلون اثناء الفراغ من الفروض الرهبانية بتأليف والنسخ يبيّضون ويسوّدون وينقّحون. وكانوا يدرسون ايضاً اللغة القبطية وينقلونها وقد نقلوا عنها شيئاً الى السريانيّة. وجاء في مخطوط لندن (عدد ٩٦٣) ما تعريبهُ عن السريانيّة : «كتبنا ما وجدنا في كتب كنيسة مار بطرس في عكّة وارسلناه مع الربّان عزيز... وطلبنا سيرة مار فاخوم سواء كانت بالعربية او بالقبطية لننقلها نحن الى السريانية فلم نعثر عليها». هذا ما كتبهُ يوحنا السجستاني الراهب السرياني

وقد ادّى رؤساء هذا الدير ورهبانه خدماً جُلّى للدين والعلم معاً. وها اننا نسرد هنا اسماء بعض رؤسائه تخليداً لذكرهم مقتطفين شيئاً من اخبارهم عن مخطوطات مكتبتهم الشهيرة التي افردنا لها فصلاً خصوصيًّا :

١ً اوّل من تولى رئاسة دير والدة الله على ما تيسّر لنا الوصول اليه هو ماروثا ابن حبيب الرئيس الكبير سنة ٧٢٠ م وقد وصفه مخطوط باريس (عدد ٢٧ ص ١١) على هذه الصورة : «صاروا على التكريتيين الذين اشتروا هذا الدير من القبط باثني عشر الف دينار ذهب بهمّة مار ماروثا ابن حبيب الرئيس الكبير». على اننا قلنا آنفاً ان هذا الدير كان قد تأسس قبل سنة ٦٠٣ م بقول الناسخ «اشتروه» يدلّ على ان القبط استحلوه فسعى السريان بجمع مبالغ من المال واسترجعوه

٢ً المطران سويرا قرياقس عُهدت اليه رئاسة هذا الدير سنة ٧٧٣ م على ما صرّح به مخطوط لندن (عدد ١٠٣٣ ص ١٢٠٠)

٣ً الانبا يوسف أُنيطت به الرئاسة على هذا الدير سنة ٧٩٨ م كما ورد في مخطوطات لندن (عدد ٣٠٩)

٤ً ابن عيدي. رئيس دير والدة الله. كذا ورد اسمه في مخطوط لندن (عدد ٧٨١ ص٧٦٦) المنسوخ سنة ٨٦٦ م في عهد يوحنا بطريرك انطاكية ٨٤٧ (؟ ٨٧٤) وقزما بطريرك الاسكندرية

٥ً القس يوحنا بن مقاري. عُقدت لهُ الرئاسة على هذا الدير نحو السنة ٨٩٤ م طبقاً لما ورد في مخطوط لندن (عدد ٥٦٨ ص ٤٥٠)

٦ً القس موسى النصيبيني. هو الذي سعى بفكّ هذا الدير من الرهن وارتحل الى بلاد السريان وجمع المخطوطات السريانيّة ونقلها اليه وقد عُقدت لهُ الرئاسة على

هذا الدير نحو السنة ٩٢٠ وسنفيض في وصفه في الفصل التالي في كلامنا عن مكتبة هذا الدير

٧ الاب صليبا. أفضت اليه الرئاسة على هذا الدير في عهد البطريرك ابرهيم الاول (٩٦٢—٩٦٣) طبقاً لما ورد في مخطوطي لندن (عدد ٣٤٧ و عدد ٣٥٢)

٨ الاب داود. تولى رئاسة الدير سنة ١٠٠٧م على ما نص تاريخ مخطوط لندن (عدد ٣٢١)

٩ الاب يوحنا. هو شقيق الاب داود سالفه. خلفه في رئاسة الدير بعد السنة ١٠٠٧ كما ذكر مخطوط لندن (عدد ٣٢٢)

١٠ الاب باسيل. أنيطت به رئاسة الدير سنة ١٢٢٢ م في عهد القنص الربّان يوحنا. وكان هذا القنص رئيساً على دير آخر للسريان لم يذكر الناسخ اسمه (مخطوط لندن عدد ١١٩). ولم نعثر على اسماء رؤساء هذا الدير في الفترة التي تخللت ما بين السنة ١٠٠٧—١٢٢٢

١١ الربّان يشوع القنص. تولى امور الدير منذ السنة ١١٣٧م على ما صرّح به مخطوط لندن ايضاً (عدد ١٧٧) حتى السنة ١٢٥٤ على ما ذكر مخطوط لندن ايضاً (عدد ١٤٧ ص ٩٤) وكان اصله من زرجل قرية قريبة من حصن كيفا على دجلة

١٢ عبد المسيح القنص. ذكره مخطوط لندن (عدد ٥١٠) هكذا: «عبد المسيح رئيس دير سيدتنا بالبرية المقدسة المعروف بدير السريان سنة ١٤٨٣م في عهد الانبا متاوس بطريرك الاسكندرية»

١٣ المطران ساويرس قرياقس. ذكره مخطوط لندن (عدد ٣٩٩) هكذا: «انتهى هذا البيتكاز (صحة كذا) وقد نسخهُ رئيس الدير ابونا القدّيس... المطران مار ساويرس قرياقس من جبل لبنان من مقاطعة طرابلس... جرى ذلك في دير والدة الله ببرّية الصعيد الذي يخصّنا نحن السريان المحسودين وذلك سنة ١٤٩٢ م وفي هذه السنة حدث وباء هائل وطاعون قتّال في ارض مصر فتك بعدد لا يُحصى من البشر»

١٤ المطران ساويرس. تولى رئاسة الدير في ١٥ اذار ١٥١٦ طبقاً لما جاء في مخطوط لندن (عدد ٦٥) الذي علق عليه غريغوريوس مطران اورشليم الفائدة المشار اليها

١٥ً الاب لعازر . انتُخب رئيساً للدير بعد المطران ساويرس وقد جاء ذكره في مخطوط لندن (عدد ١٠١٣)

١٦ً و ١٧ً قسطنطين الاول وقسطنطين الثاني . ذُكر اسمهما في مخطوط لندن (عدد ٦٩٥ ص ٥٨٠) على هذه الصورة : « نسخ الرَّبان متى الطور عبديني كتاب اسحق النينوي . . . في عهد قسطنطين الاوّل لا الثاني . لان هذا الدير تولى رئاسته رئيسان باسم قسطنطين . وقسطنطين الاول بعد ما شبع من الرئاسة اعني من فِتَن الرهبان وتحزُّباتهم . . . انهزم الى دير الاب انطونيوس مستصحباً هذا كتاب ماراسحق ليقرأ فيه ثم يردّه الى الدير . غير ان المنية بغتتهُ في ذلك الدير فظلَّ فيه هذا الكتاب مع غيره من الكتب »

هذا ما تيسّر لنا الوقوف عليه من اسماء الرؤساء الذين تولّوا امور هذا الدير الشهير الذي لبث في حوزة السريان حتى القرن الغابر فاستحلّه القبط وملكوه ولعبوا بما بقي من آثاره السريانية غير ان الزائر يرى فوق مذبح كنيسته حجرًا نُقش عليه بحروف سطرنجيلية ما ترجمه : « شُيّد هذا البناء في عهد القس موسى النصيبيني رئيس الدير » اعني في القرن العاشر . وقد شاهد هذه الكتابة وغيرها من الكتابات السريانيّة المنقوشة في جدران الدير حتى اليوم كثيرٌ من الزوّار فانادونا عنها

على ان المؤرّخ رمزي تادرس القبطي احجم عن ذكر ذلك في وصفه هذا الدير المجيد كما سكت ايضاً عن وصف آثاره ومكتبته الشهيرة . واليك ما كتبه عنه في مؤلَّفه « الاقباط في القرن العشرين » قال :

« جاء المستر تاتام السائح الانكليزي الى القطر المصري سنة ١٨٣٧ (والصحيح سنة ١٨٤٣) فاخذ ثلاثمائة قطعة من الخطوط اليدويّة المكتوبة على رقّ غزال خلاف عدد عظيم من الكتب المهمّة التي لا تقدَّر قيمتها والتي كانت تُعَدّ الاثر الباقي للمكتبة القبطية (١ (والصحيح السريانية) في دير السريان . وقد نُقلت هذه التحف الى انكلترا . واول ما يراه الزائر دير

---

١) ان المؤرخ رمزي تادرس لم يورد خبر هذا الدير ومكتبته بدقّة وامانة اسوةً بالمؤرخين الثقة ذلك رغبة منهُ ان يخفي عن القرّاء ما كان للسريان من الاهمية والاعتبار سواء كان في القاهرة ام في براريّها وقد أشرنا في المتن الى ما ارتكبه من الشطط والغلط اما جهلًا او تجاهلاً منه

السيدة بالبراموس ثم دير السيدة وابو يحنس كما المشهور بالسريان (١ فدير ابو مقار فدير الانبا بيشاي »

« اما دير السيدة وابو يحنس كاما (وهو دير السريان المعروف بدير والسدة الله على ما وصفناه آنفاً) فيشتمل اولاً: على كنيسة للعذراء بالمغارة وبها ايقونة قديمة جداً تمثلها وعليها رسم خروف من الاسفل. وثانياً: على مغطس في وسطهِ رسم صليب (هذا يوافق لتقاليد السريان وعوائدهم الطقسيَّة التي اتخذوها عن السلف وهي ان يضعوا في جرن العماد صليباً كما شهد لذلك مار افرام في مدارشه) قائماً على قاعدة مدرجة وعلى قمته المقدسة رسم العين وعلى جانبيهِ عمودان. ثالثاً: على كنيسة الاربعين شهيداً بسيطية (الذين لهم مقام معتبر لدى السريان). رابعاً: على مقبرة الانبا مرقس مطران الحبشة. خامساً: على كنيسة العذراء ايضاً بها ايقونات كثيرة من العاج مطعَّمة في خشب الصنوبر وبينها ايقونة مار مرقس على حجاب الهيكل مع ايقونات ديوسقورس وسويرس وابي يحنس (الذين لهم الرتبة الاولى عند السريان). وفي هذه الكنيسة صور الاثني عشر رسولاً وعلى باب الهيكل منقوش باسطهم صور العذراء والمسيح ومرقس وديوسقورس وسويرس الخ. وبالخورس الداخلي مغطس اللقان حجر أ. وبه اعمدة من الرخام صغيرة الحجم والطول وُضعت منذ ثلاثمائة عام (اعني منذ كان هذا الدير في ملك السريان وحوزتهم وهم الذين وضعوها). وفي غربهِ غرفة المائدة وطولها خمسة عشر متراً في عرض متر. وفي جنوبه محلّ كان مختصاً لعبادة الانبا بيشاي (كما صرَّح بهِ ايضاً نساخ الكتب السريانية) وفي الدير كنيسة صغيرة باسم ابي يحنس شرقي الشجرة المنسوبة الى مار افرام السرياني (وهو دليل آخر على ان هذا الدير كان للسريان) وقصر فخم ملاحق للبوابة العمومية ارتفاعه اثنا عشر متراً وبه خمس طبقات في اسفلها طاحون للدقيق. وفي الطبقة الرابعة كنيسة باسم الملاك ميخائيل ومكتبة الدير. وباب القصر. اما سور الدير فعلوّه اثنا عشر متراً وعرضهُ نحو ثلاثة امتار. اما اوقاف الدير فقيمتها ١٨٠٠ جنيهاً وايجارها ٤٥٥ جنيهاً مع اشتراكه بالنصف في اوقاف دير انبا بيشواي (الان هذا الدير كان ايضاً للسريان كما اوضحنا)

وذكر الاب ميشال جوليان اليسوعي في رحلته الى صعيد مصر سنة ١٨٨٢

١) تكفي هذه النسبة لتأييد حقوق السريان على هذا الدير

(ص ٣٠ عد ١٠) من النصّ الافرنجي ما تعريبهُ بتلخيص :

« لما وصلنا الى دير السريان استقبلنا رئيسُ القمص ميخائيل وهو شيخ عجوز واحتفى بنا نائبهُ فأرانا في ساحة الدير البرّانية الشجرة العجيبة المشهورة بشجرة مار افرام السرياني وهي تحاكي شجرة تمر هندي لها اغصان فتواء تظلّ البناء بأسره وتتخلل اوراقها الخضراء عناقيد زهور جميلة . وروى لنا الرهبان القبط ان مار افرام السرياني لما دخل الكنيسة ليصلي ترك عصاه خارجاً على بابها ولما خرج من الكنيسة ألفاها قد اخضرّت ومنذ إذ جعل الرهبان يسقونها حتى اصبحت شجرة عظيمة وارفة الظلّ تكسو الدير كله وما برح الرهبان القبط حتى اليوم يتلون تحتها صلواتهم الفرضيّة عند غروب الشمس »

واردف الاب جوليان :

« ان دير السريان هذا يحاكي دير البرموس واغلب بنائه معقود بقناطر وقبب طبقاً لعوائد السريان ومعاهدهم »

وناهيك ان الاقباط بعد ما استولوا على هذا الدير الجليل جعلوه معهداً لرهبانهم ومدرسة لاكليريسهم فتخرّج فيهِ عدّة من بطاركتهم واساقفتهم وكهنتهم . ومما يستحقّ الذكر ان البطريرك غبريال السابع (١٥٢٦—١٥٧٠) ترهّب في دير السريان ببرية شيهات وعمّر ديري القديس انطونيوس والقديس بولا بعد دمارهما وكانا يخصّان السريان كما ذكرنا

وفي عهد يوحنا الـ١٧ (١٧٢٧—١٧٤٥) انشأ برجس السروجي السرياني امير قومهِ كنيستين في كل من الديرين المشار اليهما(١)

ثمّ ان غبطة السيد كرلس الخامس بطريركهم الحالي تلقّى العلوم في هذا الدير سنة ١٨٤٤ ثم صار كاهناً وانتخب بطريركاً سنة ١٨٧٥ . وفي هذا الدير عينه تهذّب الانبا اسحق مطران البهنسا . وبني سويف وارتسم اسقفاً سنة ١٨٩٩ ثم مطراناً سنة ١٩٠٦

فيجدر بالطائفة القبطية الجليلة ان تؤدي للسريان شكراً جميلاً وامتناناً جزيلاً لان نفراً من بطاركتها واساقفتها تلقوا العلوم في ديرهم السرياني

١٢ مكتبة دير والدة الله السريانيّة في صعيد مصر

كان السريان منذ اول امرهم مولعين بالعلوم مغرمين بالتأليف والتصنيف مشغوفين

١) تاريخ القبط (ص ٦٣٣)

بنسخ الكتب وجمعها حريصين عليها حرصهم على ثمن الجواهر وأسنى التحف وقد ورثوا هذه الخلة الشريفة عن آبائهم وأجدادهم وملوكهم العظام الذين استنبطوا صناعة الكتابة وزيّنوا قصورهم الفخمة بالمكاتب المعتبرة كما ذكرنا . وكانت لهم مدارس شهيرة ومعاهد علمية كثيرة رضع فيها افاويق العلوم عدد عديد من افاضل الكتبة وصنفوا اسفارًا عديدة نادرة غدت دستورًا لمن جاء بعدهم . غير انه لسوء الحظ لم يصلنا من تلك الاسفار الّا النزر القليل ككتاب احيقار ورسالة مارا بن سرابيون . والسبب في ذلك ان السريان لما اعتنقوا الدين المسيحي ساقهم غلوّهم بديانتهم الى اتلاف ما ورثوه عن اجدادهم من المتروكات العلمية لانطوائها على المبادئ الوثنية (١

وزد عليه ان الملوك الوثنيين اتلفوا عددًا من تلك الاسفار كما افتعل ديوقلطيانس في السنة التاسعة عشرة لملكه اذ تقدّم الى جميع البلاد الخاضعة لدولته بتقويض كنائس النصارى واحراق كتبهم (٢ بل افضى الامر بالمسيحيين الى احراق كتب الكنيسة المقدسة الالهية في عهد قسطنطين عينه على ما ذكر اغابيوس المؤرخ الرومي المنبجي في تاريخه . بل ان العبرة الدينيّة حملت السريان في العصور المتأخرة على القاء كتبهم للنار في بلاد العراق والهند وغيرها لاحتوائها تعاليم المبتدعين والارتقة . على ان السريان لمّا هجروا النوفستية واعتنقوا الايمان الكاثوليكي في قرقوش سنة ١٧٨٠ طرحوا في بئر كنيسة الطاهرة بالموصل جميع الكتب السريانية الحاوية شيئاً من تلك البدع . وكانت مجلدات كثيرة جدًا تنطوي على مسائل مهمّة واخبار تاريخية ومباحث علمية في كل فن ومطلب

ومما يذعر الى الاسف ان مكاتب السريان في عواصم سورية كانطاكية ودمشق خصوصاً لم يبقَ منها اثر وقد اورد الكاتب المجيد حبيب الزيّات في كتابه « خزائن الكتب في دمشق وضواحيها » فصلًا ممتعاً في مكتبة دير الشاغورة بصيدنايا التي كانت تشتمل على مخطوطات شتى سريانية وملكية ويونانية وغيرها افضت اللئامة بل الحماقة براهبات الدير الى احراقها واتلافها وقد روى جنابه الخبر في المشرق (١ [١٩١٠] : ٣٣٣)

---

١) راجع ما ذكرناه هنا (عدد ٤)

٢) اوسابيوس ك ٨ ف ٣ ص ٤٦٥

وقد وجد حبيب افندي الزيات (ص ١١٨) مخطوطين سريانيين احدهما منسوخ سنة ١٤٣١م سلما من الحريق

وكان بعض هذه المخطوطات قد انتُهب وبعضها نُقل الى خزائن الكتب في اوربة والى مكاتب دمشق وغيرها. على ان السلطان عبد الحميد أذن سنة ١٩٠٩ للجنة من اعيان المسلمين وعلمائهم ففتحوا مكتبة الجامع الاموي بحضور البارون فون سودن الالماني والدكتور شيوله فعثرا على قطع متعددة من الاسفار المقدّسة باللغة السريانية الفلسطينية. ثم ظفر الدكتور بلحق لها ووجد صحائف كثيرة من الرقّ باليونانيّة واللاتينية والسريانية نُسخت منذ القرن الخامس (١ (ص ٤). وكان في دير القدّيسة تقلا ايضاً مكتبة سريانية احرقها احد اساقفة الروم الارثذكس لكرهه اللغة السريانية (ص ١٦٠) ولمّا احترق الجامع الاموي سنة ١٨٩٣ التهم شيئاً من الكتب وتُلف ايضاً منها شيء كثير في خريف سنة ١٨٦٠ (٢

امّا المسلمون فان ضربنا الصفح عمّا اخبره كتبتهم عن احراق مكتبة الاسكندرية الشهيرة (٢ فقد ذكر ابن العبري في تاريخه السرياني المدني (ص ٣٦٢) «ان صلاح الدين الايوبي لما فتح مدينة آمد اي ديار بكر سنة ١١٨٣م وجد في المكتبة الف الف واربعين الف مجلّد (٣ استحوذ عليها برمّتها ودفعها الى كاتبه القاضي الفاضل فحملها الى مصر

الى هذا الحدّ اتّصل السريان من الرغبة في العلم والتأليف وقد ظلوا متمسكين بتقاليد اجدادهم على رغم ما ألمّ بهم من الحيف والعسف وما انتابهم من الغير والآفات والنهب والسلب والحريق فتوفّرت لديهم خزائن الكتب المشتملة على نفائس التآليف ونوادر المخطوطات. وكانوا اذا رأوا الملوك والولاة يحاولون سلبهم خزائنهم يحتاطون لها وينشطون لحملها الى بلاد اهلها متشوّقون بالراحة والطمأنينة. وبناء عليه نرى جملة من اصحاب الهمّة والنشاط قد جمعوا عدداً كثيراً من هذه المخطوطات ونقلوها رويداً رويداً الى دير والدة الله الذي سبق آباؤهم فشادوه في صعيد مصر فاجتمع فيه في مدّة ليست بيسيرة الوفٌ من الاسفار السريانية تتضمن

١) الطلب المشرق ١١ [١٩٠٨] : ١٦١ و ٥ [١٩٠٢] : ٩٧

٢) المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٤٧-٥٧ ٣) كذا ورد الخبر فتروية على علّاته

شيئاً كثيراً من اسفار العهدين الاقدسين ومن الكتب المزورة والليتورجيات والصلوات القانونية والقوانين البيعية والمقالات الدينية واللاهوتية والفلسفية والمنطقية والعلمية والتصانيف الكثيرة في الطب والفلك والطبيعيات والتواريخ والنحو الخ مما يدهش العقول ويشده الالباب ويضطر ذوات العالم للاقرار بحذق السريان ورسوخ قدمهم في اصناف العلوم

وهذه المخطوطات النفيسة يرتقي عهد نسخ بعضها الى القرن الخامس والسادس مما يندر وجوده اليوم في أعظم دور الكتب وأهمها. ومنها ما كتب باصله السرياني لاستعمال الطوائف السريانية والمارونية والملكية والكلدانية ومنها ما نُقل عن اليونانية والقبطية والعربية الى السريانية

أمّا الفضل في جمع هذه الكتب الثمينة النادرة فعائد الى القسّ موسى النصيبيني الذي تولى رئاسة دير والدة الله نحو سنة ٩٢٠ فتكبّد مشاقّ الاسفار وركب متن المخاوف والاقطار ورجال في بلاد سورية وما بين النهرين والعراق بغيبة الافراج والتوسعة عن رهبان هذا الدير وكانت تراكمت عليهم ديون باهظة عجزوا عن تأديتها. فاخطر رئيسهم الغيور القس موسى ان يرتحل الى تلك البلاد ويجوّل فيها مدّة ستة اعوام (١ متنقلاً من بلد الى بلد لا يفتر من الاجتهاد في استمداد الغوث لاسعاف الدير فتيسّر له بعد جسيم العناء ان يوفي الديون ويوسّع على الرهبان ويخفف عنهم وطأة الذلّ ويخلّد له ذكراً طيباً جميلاً

واغتنم هذا الرئيس الغيور الفرصة ليجمع اثناء رحلته الكتب الثمينة وينقلها الى ديره بصعيد مصر. وكان وصوله الى بغداد سنة ٩٢٧ (٢ فجمع اذ ذاك مائتين وخمسين مجلّداً ضخماً من الصحف السريانية القديمة اشترى اغلبها بمبلغ وافر واستحصل قسماً صالحاً منها بمثابة هدية او وقف لديره (٣

وعام ٩٣٢ عاد القس موسى النشيط الى صعيد مصر ظافراً غانماً حاملاً تلك الكنوز اليتيمة (٤ واتخذ لها قاعة خصوصية ونظمها تنظيماً محكماً فاقبل الرهبان

١) مخطوط لندن عدد ٣٦

٢) مخطوط لندن ٧٦٩ ص ٧٦٠ من الفهرس

٣) مخطوطات لندن عدد ٥٤٧ و٥٨٨

٤) مخطوط لندن عدد ٩١١

على التقاط فرائدها واقتباس فوائدها وجعلوا ينقلون عنها كتباً شتى خطُّوها بيدهم حتى اصبح عددها مع تعاقب الزمان يربو على الالف مجلَّد. وصرف آباء الدير ورهبانه العناية في صيانة تلك الآثار فجلَّدوها وجدَّدوها. وقد قرأنا في مخطوط لندن (عدد ٣٧٤) المنسوخ في هذا الدير سنة ١٢٦٢ حاشية أُضيفت اليه فيما بعد هذا تعريبها: «تجدَّدت هذه الكتب وتجلَّدت سنة ١٤٩٢م» ثم وردت فيه هذه الفقرة:

«انا العبد الحقير انفس توما الماردیني لمَّا دخلتُ دير العذراء بصعيد مصر رأيت في مكتبته صحفاً كثيرة مكوَّمة بلا حساب ولا عدد فنظَّفتها ونفضتها ورتَّبتها وأحصيتها فكانت اربعمائة وثلاثة مجلَّدات فرتَّبتها في برج القلعة سنة ١٦٢٤»

وقد صرَّح الاب جوليان اليسوعي في رحلته الى هذا الدير (ص ٢٤ عدد ٧) انه كان يحتوي على برج فيه مكتبة ذكرها الاب سيكارد C. Sicard الرحَّالة اليسوعي الشهير (ج٣ ص ٢٧٩) بقوله:

«ان العلامة يوسف السمعاني الماروني وكيل المكتبة الوانيكانية برومية توجَّه سنة ١٧١٥ زيارة ادبار النطرون بصعيد مصر فاشترى جملة من تلك المخطوطات واستنسخ منها كتباً تندَّر عليه اشتراؤها لان الرهبان لم يكونوا ليستغنوا عنها ولو بوزنها ذهباً»

وما عدا ما جمعه القس موسى فقد كان يقصد هذا الدير جملة من الرهبان السريان من اطراف سورية وفلسطين وما بين النهرين والعراق ولاسيما من تكريت كما اشرنا حاملين اليه كتبهم لتلاوة الصلوات او للمطالعة او لئلَّا تأخذها يد الضياع او يثور ثائر الاكراد والاتراك فيعبثون بها ويحرقونها كما احرقها من قبلهم مَن ضارعهم في الهمجيَّة. وكان نفر من اولئك الرهبان يستعذب الاقامة في هذا الدير او في ما جاوره من اديار السريان او يعيِّنهم البطريرك او الرئيس لخدمة النفوس في احدى كنائس مصر السريانية

ومن ثمَّ فقد نُقلت الى هذا الدير الشهير عدَّة صحف مهمَّة من بلاد السريان كتكريت (٢٢٠) (١ وقرقوش (٣٢١) وراس العين وقرقيسيا (٣٠٦ و٣٠٧) والرقَّة (٣٣٩) وتلّ موزل وتلّ بسم (٢٤) ودنيسر (٢٢٦) والابراهيميَّة (٣٢٩)

١) الارقام تدل على عدد فهرس الكتب السريانية المخزونة في دار الكتب الكبرى بلندن

وباسبريشا (١٠٣٣) ودير مار ملكي (٢٢٦) وقلث (٣٠٢) وقرى طور عبدين (٨٤١) وتلّ كمّرى (١٠) وحصن كيفا (٨٣) (٢ وبعيتل بحمص (١٣٥) وحارستا (٥٢٩) وحلوجا بسروج (١٤١) وسجستان (١٤٧ و٤٦٩) والرها (١٦٩ الخ) وزرجل (١٨٩) والمعدن (٢٢٥) وبَلَد وسنجار (٢٤٣) ورعبان عند الخابور (٢٩٥) وحصن زيد (٣٢١) ومرعش (٣٢٣) ودير زغل بتدمر (٥٨٥) وطورلاها بانطاكية (٦٢٦) وكنيسة القيامة ودير السيدة باورشليم (٦٢٩) ونابلس (٣١٨) وعكّة (٩٦٣) والبقاع (٣٩٣) الخ الخ

ومن هذه المخطوطات ما نُسخ في دير والدة الله عينه كما ألمعنا كمجموعة للرهبان (٧٨١) نُسخت سنة ٨٢٣ وقس عليها المخطوطات (١٧٦ و ١٨٩ و ٢٠٩ و ٢٢٨) وغيرها

واوّل من احسّ بهذه التحفة الثمينة كان الاحبار الرومانيون فاوفدوا الى القطر المصري بادئ ذي بدء القس الياس اليسوعي الماروني فاستحصل عددًا نزرًا من الكتب حملها الى رومية. ولما تولى رئاسة الكرسي الروماني اقليمس الحادي عشر اوفد سنة ١٧١٥ المونسنيور يوسف سمعان السمعاني العلّامة الشهير الى وادي النيل فاشترى قسمًا صالحًا من هذه الاسفار السريانية ونقلها الى عاصمة الكثلكة وكتب في وصفها مقالةً رنّانة نبّهت افكار علماء اوربا ولاسيما الانكليز فنهضوا نهضة اليقظان وقصدوا هذا الدير وبذلوا كل غالٍ وثمين حتى اشتروا ما تبقّى فيه من الكتب وحملوها برمّتها الى لندن ونشروا فهرسها في ثلاثة مجلّدات وصرّحوا بما لها من الأهمية وما تضمّنته من الفوائد العلمية والتاريخيّة

ومن هذه الكتب النادرة ما اخذه بطاركة السريان عينهم او نقلوه الى بلاد اخرى فقد ورد في الجزء الثاني من خطب سويرا (عدد ٦٨٦ ص ٥٤٧) المنسوخ في دير شيلا بسروج سنة ٥٦٩م ان ميخائيل الكبير († ١٢٠٠) تصفّحه وعلّق عليه هذه الحاشية: «استحضرنا هذا الكتاب من مصر الى سورية وحتمنا ان يبقى

---

٢) قد ورد ذكر هذه البلاد والقرى في المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٧٢٠ و ١٦ [١٩١٣] : ٥٦١ وما يتبعها

مصوناً في دير برصوما باطية في القلاية البطريركية ... كتبنا ذلك بيدنا سنة ١١٩٠ ».

ومنها مخطوطات نُقلت الى دير مار مرقس باورشليم اخصُّها واقدمها كتاب بيتكاز صلوات يرتقي عهده الى القرن الحادي عشر. وقد ورد فيه انه كان يخصّ دير والدة الله بصعيد مصر وان «القس موسى النصيبيني رئيس الدير نقل اليه من بلاد ما بين النهرين ثلاثمائة وخمسين مجلّداً سريانياً».

ومنها اسفار نُقلت الى مكتبة باريس كما يُستفاد من فهرسها المطبوع سنة ١٨٧٤ واخصها كتاب العهد العتيق (عدد ٢٧ ص ١١) نُسخ سنة ٧٢٠م. وقد ورد فيه ما شرحه: «وهبهُ لدير برية الصعيد في مصر رهبان تكريتيون يلتمسون الصلاة والدعاء لجميع التكريتيين الذين اشترَوا هذا الدير من الاقباط بمبلغ اثني عشر الف دينار بمساعي ماروثا بن حبيب الرئيس الكبير».

ومنها كتبٌ نُقلت الى برلين على ما ورد في فهرس مكتبتها المطبوع سنة ١٨٩٩ فقد جاء (في عدد ٨ ص ١٧) ان ذلك السفر وهو كتاب الانجيل كان يخصّ دير والدة الله في برية الصعيد. وقس عليه كتاب الهدايا لابن العبري المنسوخ سنة ١٣٧٤ «في دير والدة الله ام الحياة المعروف بدير الناطف فوق دير الزعفران..» وقد نُقل الى دير والدة الله بالصعيد ثم دخل في حوزة دار الكتب ببرلين.

ومنها مخطوطات نُقلت الى اوكسفرد على ما ورد في فهرس مكتبتها المطبوع سنة ١٨٦٤ (عدد ٣٢ ص ٩٥) المشتمل على كتاب انجيل يوحنا ورد فيه ما شرحه: «انتهى انجيل يوحنا سنة ١٢٤٦ في دير الانبا يوحنا ببرّية الصعيد في عهد اثناسيوس بطريرك السريان المصريين.. بأمر الاسقف مرقس. كتبه خبيب للرّبان اسحق اخيه».

ومنها ما نُقل الى مكتبة كمبردج على ما جاء في فهرسها المطبوع سنة ١٩٠١ فقد ورد في العدد (٣٢٨٠) المنطوي على تفسير اعمال الرسل ورسائل مار بولس انهُ نُسخ في ٢٢ ايار ١٦٠٧م في برية الصعيد قرب وادي نيطرون في دير والدة الله مريم المشهور بدير السريان. وهو ديرهم حقًّا كما يصرّح بذلك سجلّ الدير بقوله: «ان تجّارًا تكريتيين اشتروه باثني عشر الف دينار ذهب. كتب هذه السطور غريغوريوس

بهنام مطران اورشليم ، ومن ذلك يتضح جلياً ان الاقباط كانوا يزورون منذ القرن السابع امتلاك هذا الدير واغتصابه من السريان اصحابه وما برحوا يقلقون رهبانه ويُعنّتونهم حتى استحلّوه في السنين الاخيرة

ومنها اسفار نُقلت الى مكتبة ميلان بايطالية واخصها نسخة نادرة المثال للكتاب المقدّس بالسطرنجيلية تتضمّن اسفار العهد العتيق برمّتها القانونية وغير القانونية واليك فهرس ما جاء في هذا المخطوط العجيب تكملةً للفائدة(١ :

« التكوين . الخروج . الكهنة . العدد . تثنية الاشتراع . ايوب . يشوع . القضاة . صموئيل الاول والثاني . المزامير (٣ . الملوك الاول والثاني . الحكمة اي امثال سليمان . سفر الحكمة . الجامعة . نشيد الانشاد . اشيا . ارميا . رسائل ارميا وباروخ . رسالة ارميا . رسالة باروخ الاول . رسالته الثانية . حزقيال . اسفار الانبياء الاثني عشر : هوشع . يوئيل . عاموس . عوبديا . يونان . مي . ناحوم . حبقوق . صفنيا . حجاي . زكريا . ثم دانيال . راعوث . سوسن . استير . يهوديت . ابن سيراخ . اخبار الايام الاول والثاني . رؤيا باروخ بن نريا المترجم من اليوناني الى السرياني . صلاة باروخ وهي ٨٥ فصلاً . عزرا الاول (السفر المدعو شلاتيل) . عزرا الثاني . كلام نحميا بن حاتيا . سفر المقابيين الاول . الثاني . الثالث الرابع في المقابيين واسمهم . ميمر على خراب اورشليم ليوسيفوس . خمسة الكتاب بقوله « اتتني كتاب المقابيّين وهو خمسة اسفار الثلاثة في المقابيّين والرابع في شموني واولادها والخامس في خراب اورشليم »

وقد ورد في آخره ما تعريبه : « هذا الكتاب يخصّ دير والدة الله في برية الصعيد ولا يجوز لاحد ان يخرجه منه ابداً » ثم ورد فيه ايضاً : « اذكروا ابا علي زيكري بن يوحنا الذي اشترى هذا الكتاب . . . ليطالعه الرهبان القاطنون دير والدة الله ببرية الصعيد » . ثم جاء فيه بخطّ احدث من السابق : « اقتنى هذا الكتاب الراهب عبد المسيح بن هيتم بن داود . الدمشقي » ويليه ما شرحهُ جُلّد هذا كتاب العهد العتيق سنة ١٠١٦ م جلّده يعقوب الخاطي »

ومما يقضي بالعجب ان بعض الكتب التي كانت في هذا الدير قد نُقلت او بالحري أُعيدت الى بلاد ما بين النهرين . من ذلك مخطوط سرياني يخصّ اليوم مكتبة

---

١) وهي النسخة التي طبعها بالنور والحبر الكاهن العلّامة تشرياني (A. Ceriani) في ميلانو سنة ١٨٧٦ في مجلّدين

٢) وردت فيه هذه العبارة «تسابيح داود المترفة من اللغة العلطينية وقد استخرجت من العبراني الى اليوناني ومن اليوناني الى السرياني»

الكلدان بماردين يشتمل على نسخة من رسائل مار بولس واعمال الرسل والرسائل القاثوليقية كتبت سنة ١٠٦٢ للشهداء و ١٣٤٦ م وسومة بعدد ١٩ ورد فيها ما نصه : « نُسخ هذا الكتاب في دير مرقوريوس بمصر في طرا » . ويلوح من بعض صفحاته ان ايدي النساطرة واليعاقبة تداولته . وقد عُلقت عليه حواش وتنبيهات تشير الى الطقسين النسطوري واليعقوبي

على ان في القاهرة حتى يومنا كتباً سريانية قديمة ذات قيمة واعتبار مخبأة في بيوتات الخاصة او في بعض المكاتب والمتاحف . ومما يؤيد قولنا ان القس بولس سباط السرياني الحلبي صاحب المكتبة الخطية قد عثر في هذه السنة ذاتها على مخطوط سرياني يرتقي عهد نسخه الى القرن الثامن او التاسع يتضمن الاناجيل المقدسة حسب الترجمة الحرقلية السريانية

(لها بقية)

نبذة في حياة الطيب الأثر

الاب مارون ايطو الراهب اللبناني

بقلم القس طانيوس شبلي اللبناني

لقد توفي في السنة الماضية راهبٌ من خيرة أبناء رهبانيتنا اللبنانية عنينا به الاب مارون ايطو المشهور في رهبانيتنا بتقواه وفضيلته وخدمته لمطبعة دير مار انطونيوس قزحيا . فاحببنا ان نكتب كلمة موجزة عن حياته الصالحة تثبيتاً لذكره على صفحات المشرق الاغر « وذكر الصديق يدوم الى الابد »

وُلد هذا الراهب الفاضل في قرية أيطو من معاملة الجبة من ابوين تقيين ربّياهُ تربية مسيحية حقيقية حتى اذا بلغ السادسة عشرة من عمره الهمهُ الله تعالى الى الترهب فقصد دير مار شليطا القطارة وانضمَّ الى اخوانه المبتدئين فكان لهم خير قدوة بمثله الصالح . ولما تمّت سنتا تجربته نذر النذور الاحتفالية والبسهُ الاسكيم الملائكي